

المحاضرة السابعة: الأشاعرة

2-2 - الأشاعرة:

كما هو معروف فإنَّ "أبا الحسن الأشعري" نشأ منذ شبابه على مذهب الاعتزال إلى غاية 300هـ، ما يعني أنه بلغ في هذا التاريخ 40 سنة، ومن ثمة يكون قد كوّن تصوراً معمقاً عن المعتزلة، وبعد المناقشة المشهورة بينه وبين أستاذه "الجبائي" حول حكم الزاهد والكافر والطفل الصغير بعد الموت وبعد توقف الأستاذ عن الإجابة واتهام التلميذ - الأشعري - بالجنون... تخلى "أبو الحسن الأشعري" عن فرقة المعتزلة وأسس فرقة يدعي فيها أنه يدافع عن عقيدة السلف¹. فهل فعلاً استطاعت الأشاعرة أن تكون وسطية كما يتصف الإسلام بذلك؟

2-2-1 - ظهور الأشاعرة:

ظهرت الأشعرية بعد سيطرة المعتزلة في القرن الثالث الهجري. وهي في الأصل نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، ظهر بالبصرة وكان أول أمره على مذهب المعتزلة ثم تركه واستقل عنهم، ولقد أصبح الانتساب إلى الأشعري هو ما عليه أكثر الناس في البلدان الإسلامية.

2-2-2 - أبو الحسن الأشعري وعقيدته:

هو علي بن إسماعيل الأشعري ينتسب إلى أبي موسى الأشعري، وهو أحد علماء القرن الثالث، تنتسب إليه الأشعرية، ولد في البصرة سنة 250هـ وقيل: سنة 270هـ وتوفي سنة 330هـ على أحد الأقوال. تعمق أولاً في مذهب المعتزلة وتتلذذ على أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب أحد مشاهير المعتزلة، إلا أن الله أراد له الخروج عن مذهبهم والدخول في مذهب أهل السنة والجماعة، وتوج ذلك بما سجله في كتابه "الإبانة عن أصول الديانة".

وقد كان دائماً يتلمل من اختلاف الفرق في وقته وينظر فيها بعقل ثاقب، فهداه الله إلى الحق واقتنع بما عليه السلف من اعتقاد مطابق لما جاء في القرآن والسنة النبوية فكان له موقف حاسم في ذلك.

ومما يدل على ذكائه وطلبه للحق وإفحامه لخصمه في المحاجة أنه سأل أستاذه أبا علي الجبائي عن ثلاثة أخوة كان أحدهم مؤمناً برأ تقياً. والثاني كان كافراً فاسقاً شقيماً، والثالث كان صغيراً، فماتوا فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدرجات وأما الصغير فمن أهل السلامة. فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا لأنه يقال له: أخوك إنما

¹ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص 199

وصل إلى هذه الدرجات بطاعته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري: فإن قال: ذلك التقصير ليس مني فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة، فقال الجبائي: يقول البارئ جل وعلا: كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك، فقال الأشعري: فلو قال الأخ الأكبر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دوني؟ فسكت الجبائي.

لقد كان الأشعري إماماً فذاً كثير التأليف واسع الاطلاع محبباً إلى الناس، ولهذا تجد أن كل طائفة تدعى نسبته إليها "فالملكى يدعى أنه ملكى، والشافعى يزعم أنه شافعى، والحنفى كذلك.

علمنا فيما مضى أن الأشعري كان على مذهب المعتزلة ومن العارفين به، وأنه أقام عليه مدة أربعين سنة، ومما يذكره العلماء عن سيرته ورجوعه عن الاعتزال ومذهب ابن كلاب إلى المذهب الحق، أنه مكث في بيته خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الناس وفي نهايتها خرج في يوم الجمعة، وبعد أن انتهى من الصلاة صعد المنبر وقال مخاطباً من أمامه من جموع الناس:

"أيها الناس، من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعالها، وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم. معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة، لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ولم يترجح عندى شئ على شئ فاستهديت الله تعالى فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته كتيبى هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبى هذا"، وانخلع من ثوب كان عليه ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين⁽²⁾.

2-2-3- أشهر زعماء الأشعرية:

لقد انتسب إلى الأشعري جماعة من المشاهير كان لهم الباع الطويل منهم:

1. أبو بكر الباقلانى المتوفى سنة 403هـ.
3. وكذا الإمام الجوينى (الأب)، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف الجوينى والد إمام الحرمين المتوفى سنة 438هـ.
4. وكذا ابنه إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف المتوفى سنة 47هـ والجوينى نسبة إلى

² محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والمذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د-ط)، (د-ت)،

بلدة فى فارس تسمى "جوين" وقد سمي إمام الحرميين، لأنه مكث بمكة أربع سنوات ثم عرج على المدينة المنورة وكان يدرس فيهما ويناظر.

5. ومن أولئك أيضا: الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الملقب حجة الإسلام، توفي سنة 505 هـ و هو ينسب إلى طوس.

6. ومنهم: أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني ولد سنة 467 هـ وتوفي سنة 548 هـ.

7. والفخر الرازي، المتوفى سنة (606هـ).

8. والآمدى، المتوفى سنة (682هـ).